

"إنَّ البُغاثَ بأرضِنَا يَستَنْسِرُ"

الكاتبة: لانا الطحان.



نص مثلٌ قديمٌ مشـهور عند الأدباء اسـتهلّ به أحد العلماء كلامه في مطلعِ محاضـرة ألقاها على بعض طلاب العلم بيَّن فيها -رحمه اللّه- أصـول وقواعد المنهج السَّـــلفيِّ وحُجِّيته وأمثلةً واقعيَّةً تطبيقيّةً عليه والتحذير من بعض الفِرق المخالفة له.

وبدأ المقدم الممثل للجهة الدعوية المستضيفة لفضيلة الإمام، بإلقاء كلمةٍ ترحيبية موجزة كتعبير عن مدى حفاوة أهل المنطقة الذين تشـــرفوا بزيارة

الإمام حينها، كانت في تلك الكلمة عبارات تبين للجمهور شـــيئًا من مقام الضيف الكريم العلَّامة المُحدث.

فكان مما قاله -رحمه الله- في افتتاحية لقاءه العلمي:

"الحقُّ والحقَّ أقول لســتُ بذاك الموصــوف الذي ســمعتموه آنفاً من أخينا الفاضل إبراهيم، وإنما أنا طالب علم لا شيء آخر، وعلى كل طالبٍ أن يكون عند قول النبي صلى اللّهُ عليه وسلم -:

"بلغوا عني ولو آيةً، وحدثوا عن بني إســـرائيلَ ولا حرجَ، ومن كذبَ عليَّ متعمدًا فليتبوأْ مقعدَه من النارِ" أخرجه البخاري.

ومن ثم أعقب كلامه -رحمه الله- بعدم إقراره على ما قِيل حول مكانته العلمية بذكر المثل الذي هو عنوان حديثنا معكم في هذا المقال، وذلك من باب تواضــعه رحمه الله وأن هذا المثل يصــدق وصــفه على كثير ممن يَدْعون بحق وبصــواب، أو بخطأ وباطل إلى الإســلام، ولجهل الناس بحقيقة العلم وأهله وحملته قد يغترون بكثير من أدعياء العلم ويأخذون منهم الغث والسمين والله المستعان.

"إنَّ البُغاثَ بأرضِـنا يَسْـتَنْسـرُ"، البُغاث طائرٌ أغبر دون الرخمة بطيء الطيران وهو من شرار الطير ومما لا يصيد منها [حياة الحيوان الكبرى]."

ومن المعاني المذكورة في بيان معنى هذا المثل:

" إن الضــعيف يســتضــعفنا وتظهر قوته علينا، وعلى هذا إذا أُريد الافتخار، قيل:

" إنَّ البُغاث بأرضِنا لا يَستَنسرُ" [زهر الأكم في الأمثال والحكم]

فإذا تأملنا واقع الســـاحة الدعوية مؤخرًا وبالأخص مجال الإعلام تحديداً، نجد أن هناك ظاهرة متفشية دعوني أسميها "ظاهرة استنسار البغاث"، فنرى دعاةً متعالمين زادهم العقدي شــحيح تســطع أنوارهم المزيفة في فضــاء كثيرٍ من مواقع التواصـــل رغم أن ما يروجون له -في الغالب- لا يعدو كونه مجرد خرافات مزخرفة بمصـــطلحاتٍ علمية، فيزيائية شـــرعية تبهر كثيرًا من الناس للأسـف وتجعلهم ينشـطون لنشـر تلك المزاعم وهم يحسـبون أنهم يحسنون صنعاً.

وأخص بالذكر هنا الخرافات المتعلقة بعلوم الطاقة الزائفة وتطبيقاتها التي بدأت بالانتشار مؤخراً بشكل ملحوظ.

الســـؤال الذي وقع في نفســـي هو لمَ هذا الاغترار بتلك الرموز -البغاث- وتبني أقوالهم على أنها وحيٌ منزل لا يقبل التشكيك؟

فتبين لي أن هناك ثلاثة أسـباب رئيسـة سـاهمت في انتشـار تلك الظاهرة -اســتنســار البغاث- وجعلت الشــريحة الأكبر من العوام تقبل تلك الخرافات

المشـــتبهة عليهم لمجرد اقترانها ببعض النصـــوص الشـــرعية، وبالمقابل نجدهم يردّون أقوال أهل الاختصـــاص الشـــرعي الثلة المباركة التي أخذت على عاتقها التحذير من أصول تلك الأفكار العقدية الوافدة التي هي منشأ الضلالات الوثنية التي نحن بصدد الحديث عن بغاثها الذين استنسروا.

من أبرز الأمور التي تؤدي إلى انحراف المســـلمين عن ســـبيل المؤمنين -منهج السلف الصالح- في فهم النصوص وبيان أمر دين ربهم: [1]

أولاً: عدم ضبط البدايات

من أحســـنَ البدايات ســـلمت له النهايات، ومن كانت بدايته ونشـــاطه مع مبتدع، وصــاحب ســوء يحمله على البدعة، ويُزينها له فســتكون النهاية إلى البدعة والهلاك -عياذاً بالله- وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "إنّ من أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر" السلسة الصحيحة.

ثانياً: اتباع الشُبهات بالحدس والتخمين وجدال المنافقين وتلبيسهم

عن أبي عثمان النهدي، قال كنت عند عمر -وهو يخطب الناس- فقال في خطبته، فذكر عن النبي -صــلى الله عليه وســلم-: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافقٍ عليم اللسان" حديث صحيح.

[1] انظر كتاب الأربعون حديثًا النبوية في منهاج الدعوة السلفية-الشيخ سعيد بن محمد موسى إدريس، ص: ٢٠-

وقد ورد عنه - صلى الله عليه وسلم- قوله: "ثلاثة يهدمن الدين: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون".

والشاهد هنا "الأئمة المضلون"، لأنّهم مُطاعون ولهم سلطةٌ على الناس وفتنتهم عامة.

ثالثاً: تضليل الجاهلين

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: "سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا". رواه البخاري

وقد بين الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام (٣/١٢٨) كيف يتخذ الناس رؤوساً جهالاً فقال: "أن يعتقد الإنسان في نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين ولم يبلغ تلك الدرجة، فيعمل على ذلك، ويعد رأيه رأياً وخلافه خلافاً، ولكن تارة يكون ذلك في جزئيّ وفرع من الفروع، وتارة يكون في كليّ وأصل من أصول الدين كان من الأصول الاعتقادية، أو من الأصول العلمية، فتراه آخذاً ببعض جزئيات الشريعة في هدم كليّاتها، حتى يصير منها إلى ما ظهر له باديَ رأيه، من غير إحاطة بمعانيها، ولا رسوخ في فهم مقاصدها، وهذا هو المبتدع وعليه نبه حديث

رســول الله -صـلى الله عليه وســلم- "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً يتنزعه من الناس...." .

وختاماً،

فإن أعظم أسباب النجاة من فتنة "البغاث المستنسرة" والاغترار بهم -بعد توفيق الله وعونه- تتمثل في التقيُّد بفهم الســلف الصــالح -رضــوان الله عليهم- من جهة كونه يضبط فهم المسلم، ويقيه من الخطأ والزلل، ويقوّم ســـلوكه من الاعوجاج والانحراف، ولكونه ميزاناً يضـــبط نســـبَ المتقابلات والمتشابهات من الأمور وموازينهما، دون غلوٍ أو تقصير، أو إفراطٍ أو تفريط والله المستعان.

*هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل -بالضرورة- رأي الناشر